

أضواء البيان

@ 263 @ وقوله : { يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرِّ كَلَّا لَا } فكل

ذلك راجع في المعنى إلى شيء واحد ، وهو انتفاء مكان يلجؤون إليه ويعتصمون به . قوله

تعالى : { وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } . أمر اﷺ جل وعلا نبيه صلى اﷺ عليه وسلم في هذه

الآية الكريمة : أن يصبر نفسه ، أي يحبسها مع المؤمنين الذي يدعون ربهم أول النهار

وآخره مخلصين له ، لا يريدون بدعائهم إلا رضاه جل وعلا . .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار ، وصهيب ، وبلال ، وابن مسعود

ونحوهم . لما أراد صناديد الكفار من النّبي صلى اﷺ عليه وسلم أن يطردهم عنه ،

ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين ، وقد قدمنا في سورة (الأنعام) أن اﷺ كما

أمره هنا بأن يصبر نفسه معهم أمره ألا يطردهم ، وأنه إذا رآهم يسلم عليهم ، وذلك

في قوله : { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شِدْعٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

عَلَيْهِمْ مِنْ شِدْعٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } إلى قوله {

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ } وقد

أشار إلى ذلك المعنى في قوله : { عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَسْءَى وَمَا

يُؤْدِرُكَ لَعَلَّاهُ يَزَكَّاهُ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمْ لَكَ مَن

اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقُ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكَّاهُ وَأَمْ لَكَ مَن

جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا } . وقد قدمنا أن ما

طلبه الكفار من نبينا صلى اﷺ عليه وسلم من طرده فقراء المؤمنين وضعفاءهم تكبراً عليهم

وازدراء بهم طلبه أيضاً قوم نوح من نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وأنه امتنع من

طردهم أيضاً ، كقوله تعالى عنهم : { قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَسْءَى

ذَلُولُونَ } ، وقوله عنهم أيضاً : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الضَّالِّينَ هُمْ

أَرَادُوا لَنَا بِأَدَى الرَّسُولِ } ، وقال عن نوح في امتناعه من طردهم : { وَمَا أَزَلُّ

بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنْزَلَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ } ، وقوله تعالى عنه : {

وَمَا أَنْزَلَ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ وَالْقَوْمُ لَكَ كِنًى

أَرَاكُمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ

طَرَدْتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } . .

وقوله { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ } فيه الدليل على أن مادة الصبر تتعدى بنفسها للمفعول ،
ونظير ذلك من كلام العرب قول أبي ذؤيب أو عنتره : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ { فيه الدليل على
أن مادة الصبر تتعدى بنفسها للمفعول ، ونظير ذلك من كلام العرب قول أبي ذؤيب أو عنتره :
% (فصبرت عارفة بذلك حرة % ترسو إذا نفس الجبان تطلع) % .
والغداة : أول النهار . والعشي آخره . وقال بعض العلماء :